

أميركا وإسرائيل والإرهاب الدولي

يشهد العالم هذه الايام حملة شعواء على الارهاب الدولي ، انطلقت اثر عملية خطف الباخرة السياحية الايطالية « اكيل لورو » واشتدت اثر الهجمتين المتزامنتين على مكتب شركة الطيران الاسرائيلية « العال » في كل من روما وفيينا . وتخلل الفترة الفاصلة بين الحداث اثارة موضوع الارهاب الدولي امام أرفع المحافل الدولية ، في مجلس الامن ، وصدور قرار اجماعي عنه بادانة العمليات الارهابية . وقد بلغ التصعيد الاميركي في التصدي لموجة الارهاب ذروته بتحميل الجماهيرية الليبية زوراً المسؤولة المباشرة عن عمليتي روما وفيينا ، وذلك بلسان الرئيس رونالد ريغان شخصياً اذ اعلن بتاريخ ٨ كانون الثاني (يناير) ١٩٨٦ اجراءات زجرية ضد ليبيا اتخذت شكل الامر التنفيذي إلى جميع الاميركيين وإلى كل الشركات الاميركية بالتوقف عن أي تعامل مع ليبيا تحت طائلة الملاحقة الجزائية . وقرن الرئيس الاميركي اعلانه هذا بالاعراب عن أمله في ان يجذو الحلفاء الاوروبيون حذو واشنطن في فرض عقوبات على ليبيا ، ملوحاً بالميزيد في قوله : « اذا لم تضع هذه الاجراءات حداً لارهاب القذافي فأنني اعدكم بانخاذ اجراءات جديدة » . ثم اردف ذلك باعلان تجميد الاموال الليبية في الولايات المتحدة الاميركية .

أخلاق . ولقد كان لخطف الباخرة الايطالية فعلاً وقع الكارثة علينا . فقد كان للعملية أثر واحد ، هو صورة عجز مقعد ، مشدود الى كرسي متحرك ، تطلق رصاصة في رأسه فيردى قتيلاً ويقذف في البحر لتأكله الاسماك . هذه على الاقل هي الصورة التي حفلت بها الصحافة وسائر وسائل الاعلام في الولايات المتحدة الاميركية وسائر البلدان الغربية .

هويته لا تعني شيئاً للناس في شتى ارجاء المعمورة . فكونه اميركياً لا يخفف من هول المشهد ، لاننا نحن العرب لسنا في حرب مع الانسان الاميركي ، أو مع الشعب الاميركي ، وما اكثر الاميركيين الذين يرون عدالة قضيتنا كما نراها وينددون بسياسة ادارتهم في منطقتنا كما نندد . وكونه يهودياً لا يخفف من وقع الحادثة ، لاننا نحن العرب لسنا في حرب مع اليهود ، إنما مع اسرائيل والصهيونية .

وهكذا عندما يعرض شريط الحادث لا يظهر من هوية الضحية سوى كونه عجزاً مقعداً ، انساناً عادياً في رحلة سياحية لعله شاء ان يختم بها حياته ، فكانت خاتمة حياته حزينة تهز أي انسان في العالم ويهتز معها موقفاً في العالم ، خصوصاً وأن هناك من يقف متربصاً لاستغلالها كما تفعل فعلها كذلك .

كان للحادث وقع الكارثة ، ولو أنياً ، على وجه النضال العربي في سبيل اشرف هدف وأعدل قضية . كان هدية مجانية لمن دأب على انكار اننا اصحاب قضية ، وان لنا حقاً مقدساً هو حق الانسان في ارضه ، حق الانسان في وطنه ، حق الانسان في الحياة والحرية والكرامة . كان الحادث هدية من غير مقابل لمن يصبر على تزوير صورتنا فيدمغ نضالنا دمغة الارهاب المجرد .

والمضحك المبكي ان الحادث ينتهي بانتصار باهر لدولة عظمى . فقد انتصرت اميركا الاساطيل البحرية والجوية والمركبات الفضائية على حفنة من

الرجال يبحثون عن ارض لهم وبيت وهوية . لقد انتصرت اقوى دولة في العالم
اذ ردت على القرصنة بالقرصنة ، فقبضت على الاربعة وزعيمهم ، مستخدمة
في ذلك بنات احدث ما توصلت اليه تكنولوجيا الحرب الجوية ، طائرات « التوم
كات » .

هكذا يكون الفوز الكبير ، هكذا تكون البراعة ، هكذا تكون العدالة .
انها تكون بالرد على القرصنة البحرية بالقرصنة الجوية . . . تكون بالرد على
قرصنة الافراد بقرصنة الدول .

اطلق سراح زعيم المجموعة ، الفلسطيني ، فانبرت الدولة العظمى
تتعبه ، تطارده ، تبحث عنه ، لكي تقدمه للعدالة ، العدالة الاميركية .

أي عدالة هي هذه ؟

سيأتي يوم تقبض فيه الادارة الاميركية واجهزتها على عربي من فلسطين أو
من لبنان ، شرّده عدالة القنابل الانشطارية والعنقودية والحارقة ، عدالة
الفانتوم والاف ١٦ و السوبرشرمن ، وسيمثل امام العدالة الاميركية لا لتحاكمه
وإنما ليحاكمها .

سيأتي يوم يدخل فيه احد ابناء لبنان أو فلسطين محاكم اميركا ليحولها منبراً
يخاطب منه شعب اميركا ، فيقرأ على مسامعه فصولاً من سفر الخطايا التي
ارتكبتها حكوماته منذ العام ١٩٤٨ في حق الانسان على الارض العربية من خلال
تأييدها ودعمها وحماتها دولة العدوان الصهيوني في همجيتها ، فإذا بشعبنا كتلة
من المأسى الممضة ، فيه اليتامى وفيه المشردون ، فيه الفقراء وفيه المعدمون ، فيه
الاشقياء وفيه المعدبون .

يال للرياء . إنهم لا يتركون مناسبة إلا ويؤكدون فيها حرصهم على حقوق
الانسان ويزعمون أن علاقات اميركا مع سائر الدول في العالم محكومة بمسدى
احترام انظمة تلك الدول لحقوق الانسان . يقولون ذلك عندما يتحدثون عن

الفليين أو افغانستان أو تركيا أو رومانيا أو بعض بلدان اميركا اللاتينية أو افريقيا . الا يعتبرون المواطن اللبناني أو الفلسطيني انساناً له ايضاً حقوقه ؟ أم أنهم لا يعتبرون القتل والتشريد والهدم ارهاباً اذا نفذته يد الاسرائيلي المدلل .

سيأتي يوم يقرر فيه منكوب أو ملهوف من لبنان أو فلسطين ألا يكون طريداً على الهوية وأن يرتقي إلى مستوى الخطباء داخل قفص الاتهام فيصرخ عالياً في وجه العدالة التي تحاكمه . . . يدين العدالة الاميركية امام الشعب الاميركي . فآية عدالة هي تلك التي تغفر للانحياز الاعمى لحكام اسرائيل ، لطغاتها ، لاولئك الذين تأمروا عبر اربعة عقود من الزمن على شعب بأسره . . . اقتلعوه من ارضه فتبعثر في طول العالم وعرضه ، يبحث عن سقف يأوي الى ظله ، يسعى الى رزق حلال يسدّ بعض رمقه ويصون بعض كرامته ، وهو محرم عليه ان يسأل عن هويته او ان يحلم بغده .

سيأتي يوم يمثل فيه أحد المعذبين على الارض العربية من لبنان او من فلسطين امام العدالة ، عدالة الدولة العظمى ، فيحاكم حضارتها ويحكي لشعبها حكايته ، حكاية اجداده وأبن عاشوا ، حكاية امه وابيه وعمه واين كانوا ، حكاية حياته التي تختصر قضية شعب وأمة ، فيقول للشعب الاميركي اين ولد واين انتهى وما حلّ بذويه ، ويبوح له بطموحه كله ، طموح الانسان الذي يبحث عن أرض وهوية ، عن كرامة وحرية . . . عن مكان واعدت تحت الشمس المضيئة .

سيأتي يوم يقف فيه ابن الارض العربية المحروقة طوعاً في قفص الاتهام ليذيع ظلامته على الملأ ويضع الضمير الانساني في قفص الاتهام ، فيحدث العالم عن المجازر التي ارتكبتها اسرائيل بين قومه ابتداء من دير ياسين انتهاء بصبرا وشاتيلا مروراً بمسلسل من الاحداث لا حصر لها فتكت بالالوف والالوف من الآمنين الابرياء من بني البشر في الجنوب اللبناني ، في بيروت والضاحية والجبل ، في البقاع الغربي ، في كل مكان من لبنان الذي آوى ، ولانه آوى ،

اولئك الذين شردتهم دولة الارهاب من ديارهم ، فدفع اللبناني ثمن بربريتها
كما الفلسطيني .

ولن يفوته ان يذكر الشعب الاميركي ، عسى ان تنفع الذكرى ، ان
اسرائيل لم تكن لتستطيع ان تغتصب الارض او ان تشرذ الشعب لولا المظلة
السياسية الواقية التي قدمتها وتقدمها لها الحكومة الاميركية ، ولولا الاسلحة
العصرية المتفوقة التي زودتها وتزودها بها الترسانة الاميركية ، ولولا المساعدات
المالية السخية التي أمدتها وتمدها بها الخزينة الاميركية .

سيأتي يوم يسلم فيه ابن لبنان أو ابن فلسطين نفسه للعدالة الاميركية ليدين
الحضارة ، ليدين الانسانية ، ليدين العدالة . لعله يصبح وقوداً لنار الحق قبل
أن تنطفيء ، بعد ان خبا نورها .

وبعد ، ماذا يمكن ان يحلّ بمثله ؟ أو ليس الذين يفجرون اجسادهم في
وجه اعدائهم هم من امثاله ؟ رعى الله رجال المقاومة الوطنية اللبنانية .

لما تمهيد الاموال الليبية في اميركا فلا بد أن نستمد منه عبرة اخرى .
عندما جمد الرئيس الاميركي السابق جيمي كارتر اموال ايران في الولايات المتحدة
وهدأ على ازمة الرهائن في طهران ، قلنا ان ذلك يجب ان يستوقف العرب وينبههم
إلى أن اموالهم معرضة للاخطار السياسية في اميركا . وجاء ذلك بعد سنوات من
التصعيد في وجه العرب تحذيراً لهم من التفكير في استخدام ثروتهم ، المال منها
والنفط ، سلاحاً للضغط ، من اجل قضاياهم السياسية الوطنية يوم كان
استخدام الثروة العربية سلاحاً في الدفاع عن حقوقهم امراً متاحاً . كان مباحاً
لاميركا استعمال القمح سلاحاً سياسياً ، وكذلك المساعدات الاقتصادية وحتى
الاولياد التي قاطعوا العالها في موسكو . ولكن العرب كان محرمات عليهم ان
يوظفوا ثروتهم في خدمة اهدافهم العادلة . ونكتشف اخيراً أن اميركا يجوز لها ان
تستخدم اموال ايران ضد ايران ، ثم اموال ليبيا ضد ليبيا ، ولكن العرب عليهم
ان يلتزموا واجب الفصل بين الاقتصاد والسياسة ولا يسخرّوا شيئاً مما لهم في ما هو

من السياسة . في أي حال فإن امكانية التلويح بالثروة العربية سلاحاً أصبحت شيئاً من الماضي وفي ذمة التاريخ اثر الوهن الذي حل بسوق النفط .

نحن ضد الارهاب ، وندين كل اعمال العنف التي تطاول الابرياء والأمينين أو تصيب أي مخلوق في حقه في الحياة الحرة أو العيش الكريم . ولكن اذا كنا ندين ارهاباً يرتكبه الافراد فاننا ندين ارهاباً ترتكبه الدول اضعافاً مضاعفة .

أليس ما فعلته اسرائيل وتفعله في الارض المحتلة ارهاباً ؟ أليس ما فعلته اسرائيل وتفعله في لبنان ارهاباً ؟ ماذا عسانا نسّمى تشريد أهل قرية وادعة في الجنوب اللبناني أو محاصرة بلدة فيه أو قصف مدينة ؟ بم نصف ما قامت به اسرائيل وتقوم به في الشريط الحدودي والعرقوب وسائر ارجاء الجنوب اللبناني من قتل وتنكيل وتهجير .

ما اصدق جبران خليل جبران في قوله : قتل امرىء في غابة جريمة لا تغتفر ، وقتل شعب آمن مسألة فيها نظر .

بيروت في ١١/١/١٩٨٦